مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

مصادر تشكل القيم العربية في الفكر العربي المعاصر(علي الوردي أنموذجا)

Sources that constitute Arab values in contemporary Arab thought(Ali al-Wardi as a model)

أ.نجمة عليوش Nedjma Aliouche * aliouchend@gmail.com	علم الاجتماع	مخبر :البحوث والدراسات الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة / الجزائر
أ.د نبيل حميدشة Nabil Hamidcha hamidcha_nabil@yahoo.fr	علم الاجتماع	كلية العلوم الاجتماعية جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة / الجزائر

DOI : DOI : 10.46315/1714-011-003-014

الإرسال: 2021/01/28 **القبول**: 2021/04/26 **النشر**: 2022/06/16

ملخص: تعددت الأطروحات التي تطرقت لمسألة القيم في المجتمع العربي، واختلفت فيما بينها في الرؤية الكلية أو الجزئية التي نظرت من خلالها إلى نشأة نظام القيم في المجتمع العربي ومصادر تشكله، ومن بين أبرز المفكرين العرب الذين اهتموا بهذا الموضوع: محمد عابد الجابري(1935م-2010م)، وعبد الله العروي(1933م)، ومحمد شحرور(1938م-2019م، ومالك بن نبي(1905م-1973م)، وعلي الوردي(1913م-1995م) وغيرهم كثير، وسنخصص هذه الورقة البحثية للطرح الذي قدمه عالم الاجتماع العراقي علي الوردي حول مصادر تشكل نظام القيم في المجتمع العربي المعاصر، التي يرجعها إلى ثلاثة مصادر رئيسية وهي: الصحراء، والدين، والأدب العربي القديم، التي أفرزت قيما لا تزال حاضرة في الشخصية العربية ولها دورا في توجيه السلوكيات.

كلمات مفتاحية: القيم؛ القيم العربية؛ الفكر العربي المعاصر؛ علي الوردي.

Abstract:

There were many theses that dealt with the values in the Arab community, and differed among themselves in the overall or partial vision through which it looked at the value system and the sources of its formation. Muhammad Shahrour, Malik bin Nabi, Ali al-Wardi, we will devote this research paper to the proposal presented by the Iraqi sociologist Ali al-Wardi on the sources that form the value system in contemporary Arab society, which he refers to three main sources: the desert, religion, and ancient Arab literature Which produced values that are still present in the Arab personality and have a role in behaviors.

Keywords: Values; Arab values; Contemporary Arab thought; Ali al-Wardi.

* - الباحث المُرسل: aliouchend@gmail.com

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

1- مقدمة:

تعتبر الثقافة الجانب المعنوي أو اللامادي للحضارة، تتضمن نظم المعرفة التي تنتجها جماعة ما خلال حقب زمنية متلاحقة وما ينتج عنها من مجموع التصورات، المفاهيم، والقيم التي تصيغ الملامح الأولى لشخصية المجتمعات التي تستمدها من مصدرين أساسيين: المصدر الداخلي النابع من ذات المجتمع، أي ما أنتجه أفراده من معرفة، قيم، وممارسات. والمصدر الخارجي المتمثل في الحضارات والثقافات الأخرى التي تؤثر في الثقافة المحلية من خلال الاحتكاك بها، ما يساهم في حدوث تمازج بين عناصر الثقافتين المحلية والوافدة لترتسم معالم جديدة لهذه الثقافة أو تلك، وبفضل عامل الزمن تتغلغل هذه العناصر وتصبح جزء لا يمكن فصله أو تمييزه عن الكل، وهكذا تشكلت جُل الثقافات ولا تزال كذلك، وهذه حقيقة دلت عليها الشَّواهد التاريخية لواقع تشكل وبزوغ الثقافات والحضارات.

وتعتبر الثقافة العربية من بين أبرز الكيانات الثقافية التي كرست وجودها الفعلي لحقب زمنية طويلة، خاصة مع ظهور الدين الإسلامي، الذي ساعد في تمدد نفوذها وتأثيرها الثقافي في الثقافات والحضارات الأخرى، بفضل ما اكتسبته من عوامل ساهمت في تشكلها، والتي تجلت في امتلاك القوة العسكرية التي ساعدت في القيام بالفتوحات، بالإضافة إلى ما حملته رسالة الإسلام من قيم التسامح والمحبة واحترام الآخر، وهذا ما شجع الأقوام الأخرى على اعتناقه، لتتمكن(الحضارة العربية) وانطلاقا من الجزيرة العربية من بسط نفوذها والتوسع كسلطة سياسية وثقافية تكرست عبر العصور، وتحققت خلالها نهضة مست مختلف ميادين الحياة، وبغض النظر عن الأطروحات التي جادلت في أصالة المنتوج الحضاري العربي، إلا أن مقياس تطور الأمم ومدى إنتاجها الثقافي والحضاري يقوم على قانون يأخذ بعين الاعتبار البعدين الزماني والمكاني لهذه الأمة أو تلك، فكل حقبة زمنية تحمل سمات مختلفة عن الحقب الأخرى بمنظومتها الفكرية، تشكيلها البشري، وطبيعة جغرافيتها، وكل ما هو موجود ومتواجد على مستوى عصرها والأرض التي تتفاعل ضمن حدودها بالإضافة إلى الخصائص الحضارية التي تمتلكها مقارنة بالحضارات القائمة.

والثقافة العربية حققت النهضة الثقافية والحضارية بناء على هذا القانون وقياسا عليه، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية الإستشراقية منها والعربية، إلا أن هذه الحضارة تعرضت لهزات ومشاكل لأسباب مختلفة ومتعددة؛ أدت إلى انحطاطها وسقوطها، لتنتهي فصول هذه الحضارة ويعرف العرب بعدها أزمنة من التخلف والركود، الذي بدأ منذ أن فقدوا استقلالهم السياسي في جميع المجالات ولا يزال مستمرا إلى يومنا، وهذا مقارنة بالمراحل المتقدمة التي وصلت إليها بعض

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الأمم(الحضارة الغربية) بفضل ما حققته من إنجازات في حقل العلم وتطبيقاته الذي يقوم عليه هذا العصر، في ما بقي العرب على ما انتهوا إليه من الركود الفكري والتعصب للتراث القديم، الذي صنعته ظروفا وعقولا ضمن إطار مكاني وزماني لم يعد يتوافق مع المستجدات الثقافية والحضارية لهذا العصر الذي استحوذت عليه متغيرات جديدة تمثلت في العلم والتقنية، بمعنى آخر هو عصر يقوم على القطيعة مع التراث، كما يتخذ من العقل والتجربة منهجا في اكتشاف الكون وفهمه، وهذا ما يتناقض كليا مع النظام الفكري في الثقافة العربية، التي اتسمت بنمط تفكير يعطي الأهمية للنصوص الدينية، وبالأخص الفروع منها مقابل الإهمال شبه الكلي للأصول والنظر بعين الريبة لإعمال العقل، ليقتصر معظم الإنتاج المعرفي على العلوم الدينية وفروعها، وهذا الكلام لا يحمل بين ثناياه نسفا للإسهامات العلمية التي توصل إليها العلماء العرب، وإنما هو استنتاج مبني على ما وصلنا من هذا التراث الذي هيمنت عليه العلوم التي بحثت في المسائل الدينية وعلومها، كما أن للحضارة العربية إسهامات في العلوم المادية مشهود لها استفاد منها الغرب في بناء حضارتهم القائمة ليومنا هذا، لكن هذه الإسهامات لم تشهد ذلك الاهتمام والرعاية التي عرفتها العلوم الدينية، كما أن العرب لم يحافظوا على ما توصلوا إليه في مجال العلوم المادية، والمشتغلين في هذه العلوم لم يكونوا طبقة أو شريحة واسعة من المجتمع العربي، فهم مجموعة أفراد يعتمدون على ما يمتلكونه من إمكانيات بسيطة في سبيل تطوير وتطبيق أفكارهم العلمية، مقابل الكم الهائل من المشتغلين في علوم الدين، وقد يعود ذلك إلى طبيعة الثقافة آنذاك التي اهتمت بفهم وتأصيل الدين الجديد(الإسلام) وترسيخه في النفوس.

ولم يقتصر هذا التراث على صياغة النظام المعرفي للعقل العربي فقط، بل ساهم مساهمة فعالة في صياغة نظام القيم أيضا، الذي يعرف اليوم أزمات مختلفة، منها ما هو متعلق بأصالة الثقافة العربية، ومنها ما يدور حول عدم قدرتها على مجاراة متغيرات هذا العصر، وبالتالي فهي خارج السياق التاريخي الحالي، ما دفع بعض المفكرين العرب يبحثون في هذه الإشكالية، حيث ركز البعض ابعض منهم أبحاثهم على مكون من مكونات هذه الثقافة والمتمثل في القيم باعتباره عامل أساسي ينبغي دراسته والبحث فيه، وهناك العديد من المفكرين والباحثين الذين اختصوا بدراسة الحضارة العربية وأرجعوا حالة التخلف والركود التي تعيشها المجتمعات العربية الحالية إلى نظام القيم الموروث من العصور الماضية، ومن بين المفكرين العرب الذين بحثوا في القيم العربية بالتحليل والنقد في الفكر المعاصر نجد المفكر وعالم الاجتماع العراقي علي الوردي الذي ساهم

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

بأبحاث في هذا المجال، باتباع أساليب التحليل والنقد لنظام القيم(القيم السلبية)، الذي شكل الشخصية العربية المعاصرة، إذ يرى فيها مكمن التخلف الذي تعيشه الشعوب العربية.

واهتم الوردي بالبحث في طبيعة القيم في الثقافة العربية، هذه العناية بالبحث في القيم العربية النابعة مما توصل إليه من خلال المعايشة والملاحظة لواقع الشعوب العربية(وهو جزء منها)، الذي لازمته سمات التخلف من: الجهل، والأمية، والتعصب الفكري، والتدهور المستمر للتعليم والاقتصاد؛ مما أدى إلى طغيان حالة من الجمود الفكري على العقل العربي، ليختزله ضمن أطر ذات آفاق محدودة تتخذ من الموروث القديم قاعدة ومرجعية يبنون عليها رؤيتهم في مختلف مجالات الحياة دون تمحيص ودراسة نقدية له، ومن جهة أخرى كانت الحضارة الغربية وما حققته من نهضة حضارية في جميع المستويات من ضمن الأسباب التي دفعت علي الوردي إلى ضرورة تقصي مواضع وجذور الخلل في الثقافة العربية، التي لا تزال غير قادرة على تحقيق نهضة مماثلة؛ فكان نظام القيم مجال بحثه كونها انعكاسا لنظم معرفية صاغت العقل العربي، فما هي مصادر تشكل القيم العربية حسب علي الوردي؟ .

2- في مفهوم القيم:

2-1 المفهوم اللغوي للقيم: القيمة هي "المُساوية لمقدار الثمن من غير نقصان ولا زيادة"(العسكري، أ، د.ت، 238)، وهي أيضا ما قدره أهل السوق، وقرروه في ما بينهم، وروجوه في معاملاتهم (التهانوي، م، 1996، 540).

ونستنتج من هذين التعريفين أن لمصطلح القيمة لغة، دلالة ذات معنى اقتصادي.

أما في الأصل اللاتيني فمصطلح valeur، يأتي بمعنى "إنني قوي" و"إنني بصحة جيدة"، وأصبح هذا المعنى يشير إلى فكرة عامة مضمونها "أن يكون الإنسان ناجحاً أو متكيفاً"(العوا، ع، 1986، 270).

2-2 المفهوم الاصطلاحي للقيم: تعددت الدلالات التي صُبِغ بها مصطلح القيم، باختلاف المجالات المعرفية والعلمية للمفكرين والعلماء الذين تناولوا هذا المفهوم بالتحليل والشرح، سنتطرق إليها في ما يلي:

- تُعرف فوزية دياب القيم، بأنها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه وغير المرغوب فيه(عبد الفتاح، إ، 2016، 14).

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

- كما تُعرف القيم بأنها كل فعل أو نشاط يقوم به الإنسان، وكل وصف مرغوب فيه أو قابل للرغبة فيه يحفظ وجوده، ويسعده، ويثريه، وهي كل ما يثبت إنسانيته ويؤكدها ويسمو بها إلى درجة أعلى(ميمون، ا، 1980، 327).

- وفي تعريف آخر جاء معنى القيم بأنها، "عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مُعممة، نحو الأشخاص، والأشياء، والمعاني، وأوجه النشاط، وتعتبر بمثابة المعيار الذي في ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير، وحُسن الحسن، وقُبح القبيح ...الخ"(شحاته والنجار، 2003، 243).

ومن خلال ما طرحته هذه التعريفات، نستخلص الخصائص العامة للقيم وهي كالتالي:

- هي أفعال وسلوكيات مكتسبة.
- عبارة عن معايير وأحكام يفرضها المجتمع.

3- مفهوم الفكر العربي المعاصر

نقصد بالفكر العربي المعاصر، مجموعة المنظومات الفكرية التجديدية التي تناولت قضايا المجتمعات العربية من طرف مفكرين عرب وباستخدام اللغة العربية كمحددات جغرافية، لغوية وعرقية أنتج فكرا اتبع منهجا جديدا لمعالجة الظواهر الاجتماعية، هذا المنهج الذي خالف ما كان يتبعه مفكرو العصور السابقة، فكانت بمثابة رؤية جديدة تنظر إلى الواقع الاجتماعي وفقا لأسلوب تحليلي نقدي، ومن بين القضايا التي اهتم بدراستها الفكر العربي المعاصر موضوع القيم، ومن أبرز المفكرين الذين ركزوا تفكيرهم وكتاباتهم على دراسة القيم نجد المفكر المغربي محمد عابد الجابري، الذي تناول في العديد من مؤلفاته موضوع نظام القيم العربية ومصادرها، كما أنه أفرد له مؤلفا بعنوان "العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية'(2001)، وتوصل إلى أن القيم العربية تشكلت من خمسة مصادر والمتمثلة في: الموروث الفارسي القائم على أخلاق الطاعة، والموروث اليوناني القائم على أخلاق السعادة، والموروث الصوفي القائم على أخلاق الفناء، والموروث العربي القائم على أخلاق المروءة، والموروث الإسلامي.

كما يبرز اسم عالم الاجتماع العراقي علي الوردي كمفكر عربي معاصر اهتم بدراسة مصادر القيم العربية، ونجده يتطرق إليها في معظم مؤلفاته أبرزها كتابه الموسوم بـ "الأخلاق (الضائع من الموارد الخلقية"(2007) حيث تطرق بالتفصيل إلى تاريخ تشكل القيم العربية.

وقد خصص علي الوردي فكره ومجهوداته لدراسة المجتمع العراقي خصوصا بحكم انتمائه الجغرافي والمجتمع العربي عموما، حيث أجرى دراسات عدة في مختلف المجالات الفكرية وترك في سجله العلمي العديد من المؤلفات القيمة التي طرح من خلالها تصوراته وأفكاره حول الثقافة

العربية وخاصة القيم، وبالرغم من ذلك لم نجد تعريفا واضحا وصريحا لمفهوم القيم في كتاباته، بل نجده يستعمل مصطلح الأخلاق بدلا منها(القيم)، حتى أن لديه مؤلفا بعنوان "الأخلاق"، الذي يدلنا مضمون طرحه والمعاني التي يبتغيها من ورائه على مفهوم القيم، حتى أنه استعمل كلا المصطلحين(الأخلاق والقيم) للتعبير عن مدلول ومقصد واحد، ألا وهو "مجموعة المعايير، السلوكيات، والأفعال التي يضعها المجتمع"، وقد يكون ذلك راجعا حسب رأينا لاهتمام الوردي بالمدلول أكثر من الدال فاهتم بالمعنى دون أن يتقيد بمصطلح لغوي بذاته، وعليه فإن القيم هي ما كانت تتمحور حوله دراسات علي الوردي، وبالرغم من ذلك تمكنا من استنباط مفهوم القيم لدى علي الوردي الذي ينظر إليها على أنها **"صورة من صور تكيف الإنسان مع محيطه وواقعه المجتمعي، وفقا لمعايير وضعها مجتمعه والتي توجهه في حياته الاجتماعية**(الوردي، ع، 2007، 17، 55).

4- مصادر تشكل القيم العربية المعاصرة حسب علي الوردي:

4-1علي الوردي(1913-1995):

هو مفكر وعالم اجتماع عراقي، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام1943، حصل على شهادة الماجستير من جامعة تكساس الأمريكية سنة 1984، وتحصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من نفس الجامعة سنة 1950، عُين أستاذا في علم الاجتماع بجامعة بغداد وتدرج في الرتب إلى أن منحته جامعة بغداد لقب أستاذ متمرس سنة 1970(الوردي، ع، 2001، 80).

ركز الوردي اهتمامه بدراسة المجتمع العراقي من الجوانب النفسية والاجتماعية كما ركز اهتمامه بالدراسة السوسيولوجية للدين، والثقافة، والقيم، واعتمد الوردي المنهج الجدلي النقدي في أبحاثه ودراساته للثقافة العربية عموما، ودراسته للتاريخ الثقافي والاجتماعي للعراق خصوصا، أما الأسس الفكرية التي شكّلت فكره فتتمثل في ما يلي:

- تأثر بالاتجاه النقدي لكل من الجاحظ(159هـ-255هـ)، وأبو حامد الغزالي(450هـ-505هـ)، وعبد الرحمان بن خلدون(11332م-1406م)، والمتصوفة.

- تأثر بالمنهج التجريبي لفرنسيس بيكون(1561م-1626م)، وببعض النظريات في علم الاجتماع الأمريكي، بالإضافة إلى تأثره بنظريات أوغست كونت ووليام جيمس(الوردي، ع، 2013، 19-20).

وبالرغم من تعدد المنابع والمصادر التي صاغت أفكاره وخاصة الغربية منها، إلا أنه تنبه للخصوصية الفكرية والثقافية للمجتمع العربي، الذي يحتاج لرؤية خاصة ومنهجا يتلاءم وهذه الخصوصية، ليكون هذا هو مدخله لفهم هذه الثقافة من خلال أحد مكوناتها وهي القيم، التي

تعمق في دراسة مصادر تشكلها وتأثيراتها على الإنسان العربي والعراقي؛ لتتبلور من خلالها ملامح تشكل القيم العربية والعراقية، والمؤثرات التي ساهمت في تكريسها لدى هذه المجتمعات الحاضرة في منظوماتهم القيمية والموجهة لسلوكياتهم لحد اليوم، والتي تعتبر عائقا أمام تحقيق النهضة الفكرية، وجزءًا كبيرا من المشاكل التي تعمل على تغذية حالة التخلف الاجتماعي العربي، وتتجلى هذه المؤثرات حسب الوردي في ثلاثة مصادر هي: الصحراء، الدين، والأدب العربي القديم.

4-2 الصحراء

يرى علي الوردي(2007) أن للصحراء أثرا في تكوين القيم في المجتمع العربي، فهو يجد أن للطبيعة الجغرافية تأثيرا في التكوين الفكري والثقافي للمجتمع، وفي حالة المجتمع العربي فقد ساهمت البيئة الجغرافية التي نشأ فيها في تكوين قيمه، والتي أطلق عليها **"قيم البداوة والحضارة"**، حيث ميز بين نوعين من الشخصيات التي تحمل كلا منهما قيما مختلفة عن الأخرى، ساهم في تكوينها نمط الحياة والمعيشة العربية، وقد ميز الوردي بين هذين الشخصيتين وقيم كلا منهما كما هو موضح في الجدول التالي:

الشخصية البدوية	الشخصية الحضرية
تقوم على الاستحواذ	تقوم على الإنتاج
تعيش في الصحراء، لا تعرف من شؤون الإنتاج إلا قليلا ويرتكز مصادر عيشها على العشب والمطر فقط	لا يستطيع أن يعيش دون مهنة أو نوع من الإنتاج، ويرتكز مصادر عيشها على المجهود الخاص
تقوم على قيم الغلبة والاستحواذ والشجاعة	تقوم على قيم المنفعة والإنتاجية المادية
ينظر البدوي للحضري بعين الاحتقار، ويرونه جبانا ذليلا لا كرامة له	ينظر للبدوي على أنه مجرم، يمتهن السلب لا ثقة فيه

جدول من إعداد الباحثة

وكان لهجرة البدو نحو المدن دورا في ظهور قيم جديدة من خلال الاحتكاك الذي تم بينهم وبين سكان الحضر والتي(القيم) اتسمت بالاختلاف والتعارض، حتى أنها غيرت من البناء الاجتماعي لمجتمع المدينة. ويُرجع الوردي(2001) انتشار القيم البدوية في المدينة إلى ضعف الدولة التي لم تستطع حماية الحقوق؛ مما أدى إلى انتشار الأساليب العشائرية لحماية الأفراد وضبط الأمن، فلجأت بعض المدن إلى تأسيس العشائر، فانتشرت **قيم التفاخر بالقوة، وحب السيطرة، وشدة العصبية المحلية** وخاصة بين الأطفال الذين لم يتلقوا الحب والحنان في الجماعة الأولية، لتكون

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الأزقة بمثابة المصدر الأساسي الذي يتلقون فيه القيم العشائرية فهم يقضون كل يومهم يلعبون فيها، حيث يؤلفون عصابات تغذي فيهم تلك القيم، ولا يزال تنظيم العشائر جزء لا يتجزأ من النسيج العراقي إلى يومنا هذا، ليكون النظام العشائري نتاجا لغياب الأمن وضياع الحقوق، واعتبر الوردي(1993) أن هذا العرف ترسخ في النفوس لكونه موروثا عن الآباء والأجداد وهم البدو، وهو أقرب إليهم وإلى نفوسهم من القوانين الحديثة التي تضمن الحقوق والعدالة، وتتمثل القيم البدوية حسب الوردي في الثنائيات التالية:

- ثنائية الوهب والنهب.
- ثنائية الكرم والبخل.
- ثنائية الطاعة والتمرد.
- ثنائية الإحسان والإساءة.
- ثنائية النفع والضر(الواعر، ال، 2020، 91-95).

3-4 الدين

شهد التاريخ الاجتماعي للإسلام نزاعات بين الفرق والمذاهب التي اتخذت من الدين مركزا تدور حوله خلافاتهم العقائدية، التي تعدت الخلاف الفكري إلى نزاعات تنتهي بالقتال الدموي، وكان الخلاف "السني _الشيعي" أبرزها والذي شهدته الساحة العراقية والعربية على حد سواء وإن اختلفت مظاهره وشدته هنا وهناك، واختلفت الآراء حول أسباب هذا الصراع بين المؤرخين والمفكرين، ما بين من قال أن سببها ديني محض، فيما رأى البعض في قضية الخلافة المحرك الأساسي للصراع، في ما وصفه البعض الآخر كخلاف عرقي، أما الوردي (2013) فيرى أن سببه اجتماعي محض، فهو نتيجة لمعضلة **"الواقعية والمثالية"** في المجتمع الإسلامي، فالسنة استخدموا مبدأ الديمقراطية غطاءً لموقفهم الواقعي إزاء قضية الحكم، بل إنهم لم يمارسوا هذه الديمقراطية إلا مرة أو مرتين، وكل خلفائهم جاؤوا إما بالتعيين أو بالقوة، أما الشيعة فلا يروا بهذا المنطق الواقعي، فالخليفة لديهم يجب أن يكون معصوما وخير خلق الله وهذا حسب الوردي.

وصاغ الوردي استنتاجاته حول الصراع السني _الشيعي وما أفرزه من قيم سلبية من خلال أبحاثه التي أجراها في مجال التاريخ مستخدما منهجا تاريخيا يقوم على التحليل والمقارنة، **"فالتسنن"** كما يسميه ليس بميزة تخص العنصر العربي، إنما هو من الثقافة البدوية لأن البدو يتمتعون بالشراسة والبطولة ولا يقبلون الإذعان، كما أن التشيع ليس صفة عرقية للفرس _كما قال البعض_ بل هي نتاج ردة الفعل الاجتماعية لرعايا الإمبراطورية الإسلامية تجاه حكامهم،

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

ونظريتهم حول عصمة الأئمة جاؤوا بها كردة فعل ضد الظلم الذي وقع عليهم من الخلفاء السنة، أما مكمن معضلة "المثالية والواقعية" في الإسلام والسبب وراء الصراع بين السنة والشيعة حسب الوردي(2013) يكمن في أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) أنزل المثل التي جاء بها الإسلام إلى الواقع وأوصى الخلفاء من بعده ألا ينحرفوا عنها وعدم السماح بتأثير مصالحهم الشخصية على تسيير شؤون الخلافة، ومن هنا بدأ المسلمون يقارنون بين تصرفات الخلفاء وما كان عليه رسولهم الكريم؛ ونتيجة لهذا الصراع وهذه المعضلة ظهرت قيما جديدة وتكرست أخرى: كالكراهية لما يدين به الآخر، والتعصب المذهبي، وتقديس بعض البشر لحد التأليه، هذه القيم التي لا تزال تحكم واقع العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تطغى على الاعتبارات الأخرى، كما أن ارتباط المجتمعات العربية بموروثها إلى حد تقديسه "جعلهم يرون في الأشكال الرمزية (النبي –الصحابة- الأئمة) كنماذج مثالية، وأي طرح لنماذج أخرى تعتبر ضلالاً وانحطاطاً يصيب الأمة"(أركون، م، 1985، 49)، وهذا واقع تعيشه المجتمعات العربية إلى يومنا هذا، "بالإضافة إلى أن هذا الصراع السني _الشيعي لم يحافظ على أسباب ظهوره في بداياته، لتخرج القضية عن كونها نزاعاً حول مبادئ عامة ليصير نزاعا على الرئاسة"(الوردي، ع، 1995، 247).

4-4 الأدب العربي القديم

يرى علي الوردي أن للأدب العربي القديم تأثيرا على نظام القيم في الثقافة العربية والإسلامية، واختص الشعر كأحد ملامح هذا الأدب واعتبر أن له فاعلية سلبية على مجتمعاتها، لما اتسمت به لغته من التعقيد وزخرفة للتعبيرات، وقد اهتم العرب منذ القديم بنظم الشعر وكانت له منزلة عظيمة بينهم، " لذلك جعلوه ديوان علومهم، وأخبارهم وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من أخبارهم وحُكمهم"(ابن خلدون، ع، 2004، 396).

ونظر علي الوردي(2000) للشعر العربي باعتباره ظاهرة اجتماعية عكست مظاهر الحياة في تلك العصور، فهو يقدم صور حول القيم التي انتشرت في كل عصر، "كما دفع العامل البيئي للصحراء القبائل البدوية إلى ابتكار الشعر، باعتباره وسيلة يعبرون به عن الأوضاع المعيشية، والتاريخية والشخصية"(معارك، ن، 2021، 41)، أما القيم التي انتشرت في العصور العربية القديمة ودلت عليها الأشعار حسب الوردي فتتمثل في: **مدح الظالمين، وشرب الخمر، والتغزل بالغلمان، والشذوذ الجنسي** التي تضمنتها الكثير من القصائد؛ وهذا دليل على انتشارها الواسع في المجتمع العربي، وتطرق الوردي أيضا إلى التعقيد الذي اتسمت به كتابات الشعراء والأدباء قديما وحديثا، والتي يغلُب عليها زُخرف الكلام والتنميق اللفظي مما قلص من رواجها بين عوام الناس لأنها حسبه

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

لا تحتوي على معنى إلا قليلاً، فهي موجهة لطبقات خاصة وليس للعامة، فدعا إلى تجريد اللغة العربية من الكلمات الغامضة والمترادفات التي لا فائدة منها، وليس في دعوة الوردي تبني للهجات العامية فهو فقط يقول بتبسيط اللغة.

إن في الإبقاء على الصورة التقليدية والنمطية للأدب العربي في رأينا فيه محافظة على النمط الفكري والثقافي الذي صنعته إيديولوجيات ظهرت في الماضي مقابل رفض الأفكار التجديدية والإبداعية والتضييق عليها، وفي هذا تكريس لأفكار معينة لغايات مختلفة، فبعض القيم والأفكار التي كانت نتاجا للتراث القديم غير صالحة للعيش في هذه البيئة المعاصرة بكل ما استجد فيها من متغيرات سياسية، اقتصادية، وثقافية في إطار متطلبات حضارية مختلفة، وكأنها عملية فرض لهذا النموذج الثقافي دون مراعاة للتحولات المعاصرة، وما تحمله من تكريس لنفس القيم خاصة السلبية منها والتي تتضمن دعوة لمزيد من الانكفاء على الذات.

لم يكتف علي الوردي في التطرق إلى طبيعة القيم العربية بمجرد الوصف والتحليل لمصادر وواقع هذه القيم التي رأى بسلبية معظمها، فقد طرح أساليبا وطرقا للتخلص من القيم الاجتماعية(السلبية)، المتمثلة في ما يلي:

- التخلي عن الأسلوب الوعظي، الذي لم يحقق نتائج وفعالية في التغيير القيمي لعدم انسجامها والواقع.
- القدوة الحسنة، حيث يرى أن القدوة العالية أي أصحاب المكانة العالية في المجتمع لهم القدرة في تغيير القيم، من خلال كونهم قدوة لغيرهم من الناس.
- المؤلفات ووسائل الإعلام، من خلال تقديم مضمون ومحتوى يطرح القيم في قالب نقدي ساخر(الوردي، ع، 2011، 248-249).

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

5- خاتمة

تعاني المجتمعات العربية مشكلات وأزمات معاصرة ذات جذور متغلغلة في القدم، حالت دون تحقيق نهضة فكرية تتماهى مع مستجدات هذا العصر، خاصة مع ما يشهده المجال العلمي والتقني من تقدم هائل على جميع المستويات، أدى إلى فرض تحولات معرفية، فكرية، وثقافية على مستوى العالم، وأنتج ظاهرة العولمة التي تهدف في حقيقتها إلى فرض نموذج ثقافي معين بغاية السيطرة على الثقافات الأخرى والهيمنة، ومن بينها الثقافة العربية التي لا تزال تعيش حالة من الركود والجمود الفكري الذي توقف عند حدود معينة ولم يتخطاها، لينشغل الفكر العربي المعاصر في فهم وتحليل مصادر وأسباب هذا الركود، فكان المفكر وعالم الاجتماع العراقي علي الوردي من بين المفكرين البارزين الذي كرسوا مجهوداتهم لفهم مواطن الخلل في الثقافة العربية والتي تسببت في ركودها الذي طال زمنه، ومن خلال دراساته وأبحاثه في التاريخ العربي عموما والعراقي خصوصا توصل إلى أن القيم لعبت دورا مهما في إيصال المجتمع العربي إلى ما هو عليه اليوم من انغلاق وتخلف، التي بلورتها: الصحراء كبيئة جغرافية أثرت في تشكيل القيم وخلقت مشكلة الصراع بين البداوة والمدنية، والدين وبالتحديد الصراع السني_الشيعي الذي أنتج بدوره معضلة الواقعية والمثالية في الإسلام كما يسميها الوردي، أما المصدر الثالث فيتمثل في الأدب العربي القديم والشعر بالخصوص الذي روَّج لقيم معيَّنة وعمل على تكريسها في الثقافة العربية.

هذا الموروث القيمي السلبي الذي لا يزال حياً في المعتقدات والسلوكيات لدى المجتمعات العربية، ونحن نشير هنا إلى تلك القيم التي تضر الإنسان أكثر مما تنفعه وكل قيمة تحد من حريته وتفكيره لما فيه خير له ولمجتمعه فتعتبر قيما سلبية، وهي ليست دعوة للانفصال الكلي عن الماضي أو رفض الموروث الثقافي بكل مكوناته، إنما هي دعوة لإعادة النظر في هذا الموروث بقراءته وفهمه ضمن الأطر التي تشكل فيها، مع التمييز بين الإيجابي منها الذي يتلاءم مع هذا العصر، وهذه كانت غاية علي الوردي من دراساته للثقافة العربية، إذ كان هدفه تحديد المشاكل التي تعانيها هذه الثقافة وطرح الحلول والبدائل من أجل تحقيق نهضة المجتمعات العربية.

******

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

- المصادروالمراجع:

- أركون، محمد. (1985). الفكر العربي. ط3. ترجمة عادل العوا. بيروت: دار منشورات عويدات.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). المقدمة. ط1.ج2. دمشق: دار البلفي.
- الوردي، علي. (1994). أسطورة الأدب الرفيع. ط2. لندن: دار كوفان للنشر.
- الوردي، علي. (1995). وعاظ السلاطين. ط2. لندن: دار كوفان للنشر.
- الوردي، علي. (2001). شخصية الفرد العراقي. ط2. لندن: منشورات دار ليلى.
- الوردي، علي. (2007). الأخلاق الضائع من الموارد الخلقية. لندن: دار الوراق للنشر والتوزيع.
- الوردي، علي. (2011). في النفس والمجتمع. ط1. بغداد: مكتبة بساتين المعرفة.
- الوردي، علي. (2013). دراسة في سوسيولوجيا الإسلام. ط1. بغداد: دار الوراق للطباعة والنشر والتوزيع.
- العوا، عادل. (1986). العمدة في فلسفة القيم. ط1. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- العسكري، أبي الهلال. (د. ت). الفروق اللغوية. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- التهانوي، محمد علي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1. ترجمة عبد الله الخالدي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- الواعر، الخليل. (2020). ثنائية القيم في السلوك البدوي من وجهة نظر علي الوردي. مجلة تمثلات. المجلد الرابع. العدد الثاني. الجزائر.
- معارك، ناصر. (2021). مفهوم النقد الثقافي عند علي الوردي. مجلة منيرفا. المجلد الخامس. العدد الثاني. الجزائر.
- ميمون، الربيع. (1980). نظرية القيم في الفكر المعاصر(بين النسبية والمطلقية).الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- عبد الفتاح، إسماعيل. (2001). القيم السياسية في الإسلام. ط1. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- علي، جواد. (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط2. الجزء الخامس. بغداد: جامعة بغداد.
- شحاتة، ح. والنجار، ز . (2003). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.